# النار الإغريقيّة
## Greek Fire - Feu Gregois

النار الإغريقيّة أو اليونانيّة سلاح حارق يتألف من مزيج جلاتيني يستعر عفوياً ويبقى مشتعلاً دون أن ينطفىء حتى في حالة الرطوبة أو على سطح الماء، وكان الروم البيزنطيون أول من استعمله على نطاق واسع ضد الأفراد والسفن التي كانت تحاول غزو القسطنطينية منذ أواخر القرن السابع للميلاد (وهذا التاريخ مُختلف فيه فبعض المصادر تذكر القرن الرابع أو السادس أو حتى التاسع، والصواب ما ذكرناه)، كما استُخدم في المعارك البحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط وكانت تزوّد به السفن الشراعية الصغيرة ذات المجاذيب والمناورة السهلة Galleys حيث تقذفه على سفن الأعداء، وقد اعتبره البعض طليعة الحرب الكيميائية الحديثة (كباصقات اللهب والناپالم) وغيرها من الأسلحة الحارقة.

وقد اخترع هذا السلاح مواطن سوري يدعى "كالينيكوس" أيام الامبراطور البيزنطي قسطنطين الرابع بوغوناتوس Constantine IV Pogonatus ٦٦٨ ــ ٦٨٥م) الذي استخدمه ضد الاسطول العربي الذي حاصر القسطنطينية[١] عام ٥٣ هـ/٦٧٣م. كما استعمله الامبراطور ليو الثالث Leo III (٧١٧ ــ ٧٤١م) ضد المسلمين الذين حاصروا القسطنطينية عام ٩٨ هـ/٧١٧م[٢]، ثم استخدمه الإمبراطور رومانوس الأول Romanus I في القرن العاشر للميلاد (٩٢٠ ــ ٩٤١م) لإحراق الأسطول الروسي، وإلى هذا السلاح الفتّاك يعود الفضل في صمود الإمبراطورية البيزنطية بوجه الغزاة حتى سقوطها عام ١٤٥٣م.

وتذكر الأميرة آنا كومينا في كتابها (الألكسياد) كيف استخدم البيزنطيون النار الإغريقية في حملة الفرنج الأولى عام ١٠٩٩م ضد الأسطول "البيزي" الفرنجي الذي جهزه أسقف بيزا والذي عيّنه البابا أوربان الثاني بطريركاً على القدس عام ١٠٩٨م، وذلك حين أمر الإمبراطور البيزنطي إلكسيوس الأول

كومنينوس Alexius I Comnenus (١٠٨١ ــ ١١١٨م) ببناء سفن يثبّت على مقدمة كل منها رأس أسد أو ما شابه، فصنعت هذه الرؤوس من معدن البرونز أو من الحديد المطلي بالذهب، وكانت أفواهها مفتوحة، وكان من المفترض قذف النار الإغريقية من خلال أنابيب تنتهي في تلك الأفواه بحيث تبدوا وكأن النار تُقذف من جوفها[٣].

وكانت هذه النار من الفعالية بحيث اعتبر تركيبها الكيميائي ولقرون عديدة من أسرار الدولة العليا وتحت حماية الامبراطور شخصياً. وقد أطلقت عليها تسميات عديدة كالنار الرطبة Wet Fire، والنفط القاذف، ونار البحر Sea Fire، والنار السائلة Liquid Fire، ولم تكن تنطفيء أبداً إلا بالخلّ أو الرمل الرطب أو التراب الندي. ولم يعرف الفرنجة سرّها إلا في وقت متأخّر كثيراً. وفي حوالي عام ١٢٠٠م بدءوا باستبدالها بالبارود Gunpowder الأكثر فعالية وتخريباً للأهداف البعيدة.

ويذكر المسعودي المتوفى عام ٣٤٦ هـ/٩٥٧م في مصنّفه (مروج الذهب ومعادن الجوهر) حول حصار عبد الله بن الزبير بمكة المكرّمة عام ٦٤ هـ قوله: "ونصب الحصين [ابن نمير] فيمن معه من أهل الشام المجانيق[٤] والعرّادات[٥] على مكة والمسجد من الجبال والفجاج، وابن الزبير في المسجد ومعه المختار بن أبي عُبيد الثقفي داخلاً في جملته، منضافاً إلى بيعته، منقاداً إلى إمامته على شرائط شرطها عليه لا يخالف له رأياً ولا يعصي له أمراً، فتواترت أحجار المجانيق والعرّادات على البيت ورُمي مع الأحجار بالنار والنفط ومشاقات الكتّان وغير ذلك من المُحرقات، فانهدمت الكعبة واحترقت البنيّة...". هذا ويميل بعض الباحثين إلى الاعتقاد باحتمال كون تلك النار ضرباً من النار الإغريقية ؟

كما يقول جورج تيت George Tate في كتابه (حملات الفرنجة والأرض المقدّسة The Crusades and the Holy Land) بأنه في عام ٥٨١ هـ/١١٨٥م منح السلطان صلاح الدين الأيوبي الصليبيين هدنة لمدة أربع سنوات أعاد خلالها تنظيم جيشه المؤلف من ثمانية آلاف فارس مصري أضاف إليهم عرب الأطراف وستة آلاف فارس سوري، كما أعاد بناء الأسطول المصري ليصبح قادراً

على إغلاق الموانىء الفلسطينية في وجه إمدادات الفرنجة، وكانت لديه نفس التجهيزات الحربية كما لدى الفرنج، إضافة إلى السلاح الفتّاك الذي لم يكن الفرنجة قد اكتشفوه بعد وهو "النار الإغريقية"، وقد استخدمه صلاح الدين في المعارك البحرية لاحراق سفن العدو، كما استخدمه بفاعلية عالية في حالات الحصار لحرق أبراج الفرنج ودبّاباتهم[٦] ورؤوس أكباشهم[٧] أثناء نقب الأسوار.

وانتقل استعمال هذا السلاح إلى المغرب العربي، وعنه يقول ابن خلدون في تاريخه المعروف (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر): ".. لمّا فتح السلطان أبو يوسف بلاد المغرب وانتظم أمصاره ومعاقله في طاعته، وغلب بني عبد المؤمن على دار خلافتهم، ومحا رسمهم، وافتتح طنجة وطوّع سبتة مرفأ الجواز إلى العدوة، وثغر المغرب، سما أمله إلى بلاد القبلة فوجّه عزمه إلى افتتاح سجلماسة من أيدي بني عبد الواد المتغلّبين عليها وأدالة دعوته فيها من دعوتهم، فنهض إليها في العساكر والحشود في رجب من سنة إثنين وسبعين وستمائة [للهجرة] فنازلها وقد حشد إليها أهل المغرب أجمع، من زناتة والعرب والبربر وكافة الجنود والعساكر، ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرّادات، وهندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزانة أمام النار الموقدة في البارود بطبيعة غريبة تردّ الأفعال إلى باريها".

ويذكر القلقشندي هذا السلاح في مصنّفه (صبح الأعشى) في سياق حديثه عن آلات الحصار فيقول: "ومنها قوارير النِّفطِ، وهي قدور ونحوها، يُجعل فيها النِّفطُ ويُرمى بها على الحصون والقلاع للإحراق، على أن القوارير في اللغة اسم للزُّجاج وإنما استعيرت في آلات النفط مجازاً".

ويصف الشاعر أحمد بن يس الصقلّي النار الإغريقية فيقول:

رأوا حربيـــة ترمـــى بنفطٍ ... لإخماد النفوس له اســتعارُ
كأن المهلّ في الأنبوب منه ... إلى شـــيّ الوجوه له ابتدارُ
كأن منافس البركان فيهـــا ... لأهوال الجحيـــم بها اعتبارُ

نحاسٌ ينبري منه شـــواظ لأرواح العلـــوج به بوارُ
وما للمـــاء بالإطفاء حُكْم عليه لدى الوقود ولا اقتدارُ

**مخترع النار الإغريقيّة:** يُنسب اختراع هذا السلاح إلى كالينيكوس [قلينيكوس] Callinicus المختلف في جذوره وسيرته، فمنهم من يقول بأنه مواطن سوري من بلاد الشام يتكلم اليونانية لجأ إلى القسطنطينية عند الفتح العربي لسورية في القرن السابع الميلادي وباح بسرّها إلى الامبراطور البيزنطي. و منهم من يذهب إلى أنه مهندس مصري نزح من مدينة "هليوبولس"[٨] في سورية لنفس السبب المذكور. ويؤكد البعض أنه مصري كان يقيم في هيليوبوليس المصرية "مدينة عين شمس" أثناء الحكم البيزنطي.

**أقول:** مهما كانت جنسية المخترع فالسؤال الذي يطرح نفسه: إذا سلّمنا جدلاً بمقولة المؤرخين الغربيين بأن التركيب الكيميائي لهذا السلاح كان من أسرار الدولة البيزنطية فكيف تسرّب إلى العرب وعرفه صلاح الدين الأيوبي ؟ ومن الذي سرّبه ؟ وفي أي زمن حدث هذا الاختراق ؟ جملة من أسئلة محيّرة لا أجد لها جواباً.

**مكوّناتها الكيميائية:** التركيب الكيميائي الدقيق للنار الإغريقية غير معروف حتى في أيامنا، ولكن من المؤكد أنه سائل بترولي مكثّف بمادة صمغية راتنجية Resin مع الكبريت Sulfur والفوسفور Phosphorus، أو من خليطة الكبريت الممزوج بالزفت Pitch والملح الصخري (نترات البوتاسيوم أو الصوديوم) Saltpeter وزيت النّفط Oil of Naphtha، ويضاف إلى المزيج الجير أو الكلس غير المُطفأ Quicklime فيتفاعل مع الماء ويشتعل بشدّة. وقيل هي مزيج من شحم كلاب البحر والزفت والكبريت والراتنج.

وتذكر المصادر التاريخية أن العرب طوّروا هذا التركيب بإضافة بعض الصموغ والمواد الراتنجية والأدهان الأخرى التي تزيد من فعالية الاحتراق وتأجّج النار واشتعالها، وزيادة القدرة على الإحراق والفتك.

والنار الإغريقية شديدة الشبه بقنابل النابالم Napalm[٩] الحديثة، وإلى حدّ ما بزجاجات مولوتوف المعروفة باسم (كوكتيل مولوتوف Molotov Cocktail) وهي زجاجات حارقة استعملت في الحرب العالمية الثانية ضدّ دبّابات الألمان ومركباتهم ، ولا زالت إلى اليوم ذات فاعلية ضد الآليات في قتال الشوارع.

**أساليب إطلاقها:** كانت النار الإغريقية تُطلق من السفن بضخّها من أنابيب بواسطة الضغط، أو بقذفها بالسهام، أو برشقها بزجاجات مملوءة بالمزيج، كما كانت تُطلق على العدو في البرّ ضمن أوعية من الفخّار أو الطين بواسطة المنجنيق، أو بالقذف اليدوي المباشر من فوق الأبراج.

**تفصيل من مخطوط موجود في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٢٨٢٤**
يمثّل قذائف زجاجية تحتوي على النفط الأبيض

قاذف النار الإغريقية

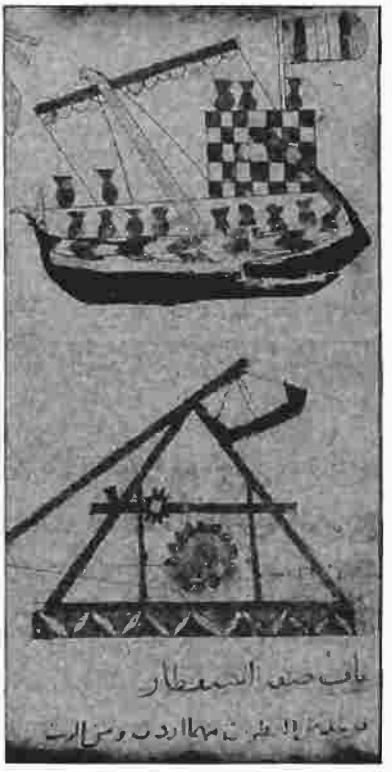

سفينة ومنجنيق النار الإغريقية

## الهوامش

(١) في السنة المذكورة وجّه الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان (٢٠ ق هـ/٦٠٣م - ٦٠ هـ/٦٨٠م) حملة بحرية لحصار القسطنطينية بهدف فتحها، وعقد لواءها لكبار قادة البحر: جنادة بن أبي أميّة، وسفيان بن عوف الأزدي، وعبد الله بن مسعدة، فاحتل الأسطول العربي جزيرة "كزيكوس في بحر مرمرة وتدعى أيضاً أرواد، وهي غير جزيرة أرواد على الساحل السوري" واتّخذها قاعدة عسكرية له، ثم تابع سيره فحاصر القسطنطينية نحو سبع سنوات اضطر بعدها للارتداد عنها بعد استخدام الروم قذائف النار الإغريقية، وفي طريق عودته تعرّض هذا الأسطول العربي لعاصفة هوجاء أدّت إلى تدميره عام ٥٩ هـ/٦٧٩م.

(٢) هي الحملة التي وجّهها الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (٦١ هـ/٦٨١م - ١٠١ هـ/٧٢٠م) إلى القسطنطينية عام ٩٨هـ، وتألفت من حملة برّية بقيادة (مسلمة بن عبد الملك) وأخرى بحرية بقيادة (عمر بن هبيرة)، فاستنجد إمبراطور الروم بالبلغار لفكّ حصار المسلمين، فعلم بذلك عمر بن عبد العزيز فأمر مسلمة بفكّ الحصار والعودة مع الأسطول إلى الشام، ومرة أخرى يتعرض هذا الأسطول في بحر إيجة لما تعرّض له أسطول عام ٥٩ هـ من عاصفة هوجاء أدّت إلى غرقه عام ٩٩ هـ، وكانت هذه الحملة آخر محاولة في زمن الأمويين للإستيلاء على القسطنطينية.

(٣) أنظر: الحروب الصليبية للدكتور سهيل زكار ١/١٧٦، ١٧٨.

(٤) **المنجنيق**: آلة رمي المقذوفات الحجرية وكرات النار، ويعتبرها البعض طليعة المدفع الحديث.

(٥) **العرّادة**: هي ضرب من المنجنيقات الصغيرة.

(٦) **البرج** Tower: البرج - أو الدبّابة كما سمّاه العرب - آلة حصار الأسوار على شكل برج مربّع مرتفع يُتّخذ من الخشب المغشي بالجلد المنقوع بالخلّ منعاً لاحتراقه، يحتمي المقاتلون خلفه أو بداخله أثناء تقدّمهم، ويدفعونه نحو الأسوار أو الحصون حتى إذا بلغوها قاموا بنقبها أو بتسلّق أعلى البرج والنزول عليها.

(٧) **رأس الكبش** Battering Ram: واسطة ثقب الأسوار واقتحامها، ويعرف أيضاً بكبش النقب أو الخرق، وهو جذع أو عمود خشبي طويل يحمله المقاتلون ويصدمون به السور بغية نقبه والتسلّل من خلال الثقب الذي أحدثوه. والشكل الأعمّ منه عمود معلّق أفقياً بسلاسل معدنية أو حبال من الجلد المتين يتدلّى من سقف الدبّابة أو البرج ويزوّد رأسه بكتلة معدنية من الحديد أو الفولاذ تشبه رأس الكبش، ويقوم المهاجمون بأرجحته للأمام والخلف ويصدمون به السور حتى تنهار حجارته فيحدثون به ثقباً يتسلّلون من خلاله إلى داخل السور.

(٨) **هليوبوليس:** هي مدينة "بعلبك" في البقاع اللبناني اليوم، ومعنى الاسم: مدينة الشمس. وفي مصر مدينة أخرى كانت تعرف بهليوبوليس وهي مدينة "عين شمس". والتسميتان رومانيتان بنفس المعنى.

(٩) **النابالم** Napalm وتلفظ بالانكليزية: Nay pahm سلاح حارق يتركّب من مسحوق النابالم (صابونات الألمنيوم) يضاف إلى البنزين ليصبح هلامياً لاصقاً Sticky Jellied Gasoline، وتقذف قنبلة النابالم إمّا من الجو فتنفجر وتشتعل ناثرة حرارة عالية للمادة اللاصقة الحارقة فوق مساحة واسعة من الأرض، أو تطلق نحو الهدف من قواذف أرضية يحملها الجنود.

## مصادر البحث


- مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ٢٧٠/٣ رقم ١٩٣٠، الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٦٦
- تاريخ ابن خلدون ٢٤٩/٧، دار الفكر، بيروت، لبنان ١٩٨٨.
- صبح الأعشى للقلقشندي ١٤٥/٢، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (بلا تاريخ).
- تاريخ التمدّن الإسلامي: جرجي زيدان، ١٩٢/١، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان (بلا تاريخ).
- الحروب الصليبية: د. سهيل زكار ١٧٦/١، ١٧٨ دار حسّان، دمشق ١٩٨٤.
- أحداث التاريخ الإسلامي د. عبد السلام الترمانيني ٤٣٥/١ دار طلاس، دمشق ١٩٨٨.
- البحرية في مصر الإسلامية: د. سعاد ماهر ٢٣١، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٧
- موسوعة العلماء المخترعين لبدران وفارس ٤٠٣ ، المؤسّسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٨.
- تاريخ الخلافة الأموية والعباسية: رفيق المهايني ٧ ح١، مطبوعات المكتبة الكبرى، بدمشق ١٩٥١م.
- صمود دمشق أمام الحملات الصليبيّة: د. قتيبة الشهابي ٧٨،٧٧ ، ٨٠ وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٨.
- موسوعة المورد الحديثة (بالكومبيوتر).

- The Crusades and the Holy Land: G. Tate, Thomaes & Hudson 102, 106, 107
- موسوعة Americana 24/787.
- موسوعة Britanica.
- موسوعة Compton.
- موسوعة Encarta.
- موسوعة Grolier.
- موسوعة World Book.